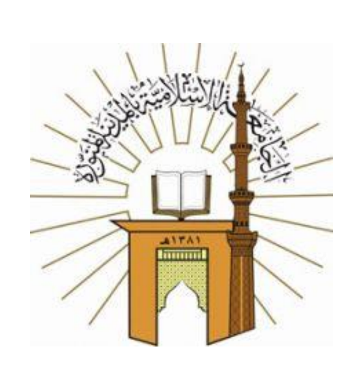
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية القرآن الكريم
والدراسات الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن



منهج التدبر عند الآلوسي في تفسيره
ونماذج منه

إعداد الطالب:
حسام بن عبد الله بن علي الحذيفي

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور:
محمد بن عبد العزيز العواجي

العام الجامعي:
١٤٣٦- ١٤٣٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فهذا بحث موجز تناول منهج التدبر عند الإمام الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) في تفسيره المسمى: «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» كلفني به فضيلة شيخنا أ.د محمد بن عبد العزيز العواجي.

وقد تصمن البحث النقاط التالية:

- مفهوم التَّدبر عند الآلوسي وعلاقته ببقية المصطلحات المقاربة له.
- منهج الألوسي في التدبر من خلال الموضوعات القرآنية التالية:

١- القصص القرآني.

٢- الأمثال القرآنية.

٣- المناسبات.

مفهوم التَّدبر عند الآلوسي وعلاقته ببقية المصطلحات المقاربة له:

يمكن أن نعرف مفهوم التدَّبر عند الإمام الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال تعريفه ووصفه للتدبر، حيث قال:

«وأصل التدبر التأمُّل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظرا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه»[١].

وبهذا التعريف نفهم أن مصطلح التدَّبر عند الآلوسي لم يقتصر على حقيقته اللغويَّة والذي هو إدراك عواقب الأمور فحسب، بل امتد ليشمل حقائقها، وأسبابها، ولواحقها، وغير ذلك، فهو بذلك يكون مصطلحاً عامًّا واسعاً.

ولم يجعل الآلوسي للتدَّبر في القرآن خصوصية عن المعنى العام للتدَّبر، ولم يحدّ له حدوداً تميزه عن بقية المصطلحات، كالتفكُّر، والتذكّر، والتأمّل، ونحوها.

ومما يؤيد ذلك قوله في تعريفه للتدَّبر : « ثم استعمل في كل تأمل».

ومن الأمثلة أيضا ما ذكره في معرض حديثه عن الفاسقين في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦]، قال: «فإن كفرهم وعدولهم عن الحق وإصرارهم على

(١) «روح المعاني» للآلوسي ٣/٨٩.

الباطل صرفت وجوه أنظارهم عن **التدبر والتأمل** حتى رسخت جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروا وقالوا ما قالوا»[(١)]، فيظهر هنا عدم تفريقه بين التدبر والتأمل.

ومن الأمثلة على استخدامه لهذه المصطلحات كألفاظ مترادفة: في قصة إبراهيم مع أصنام قومه في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنبياء:٦٣-٦٤] قال: « وإنما قال عليه السلام ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ دون إن كانوا يسمعون أو يعقلون مع أن السؤال موقوف على السمع والعقل أيضا لما أن نتيجة السؤال هو الجواب وإن عدم نطقهم أظهر وتبكيتهم بذلك أدخل، وقد حصل ذلك حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ **فتفكَّروا وتدبروا وتذكروا** أن ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة عن غيره أو جلب منفعة له فكيف يستحق أن يكون معبوداً»[(٢)].

منهج الآلوسي في التدبر ونماذج منه:

يُعد الإمام الآلوسي أحد المفسرين المكثرين للتدَّبر، ولأجل ذلك فالإحاطة بمنهج الآلوسي في التدبر يتطلب استقراء تاماً للكتاب، وهذا مالا أدعيه في هذه العجالة، إلا أنني حاولت جهدي أن أتتبع منهجه في التدبر من خلال القصص القرآني والأمثال والمناسبات، وينبغي التنويه إلى أن ما أعنيه هنا من التدَّبر ليس المفهوم الواسع للتدَّبر الذي عرَّفه به

---

(١) ٢١٢/١.

(٢) ٦٤/٩.

الآلوسي رحمه الله -وإلا لما بقي من تفسيره شيء خارجُ التَّدبر- وإنما المفهوم الاصطلاحي للتدبر وهو: (التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة) [(١)].

ويمكن تحديد بعض معالم منهج الآلوسي في التدبر وفق النقاط التالية:

أولاً: القصص القرآني:

إن الناظر في القرآن الكريم يجد أن القَصَص فيه تشكل ما يقرب من ربع آياته الكريمة، مما يبين لنا أن الله تعالى قد حباها العناية بكتابه وذلك لكثرة ما لها من فوائد يدركها كل من تدبر آيات القرآن، ولذا فقد كان مجالاً خصباً للتدبر عند الآلوسي رحمه الله، ومن نماذج ذلك ما يلي:

١- بيان قدرة الله عز وجل على الإماتة والإحياء، والعبرة من ذلك، في قصة الألوف الذين أماتهم الله ثم أحياهم والتي وردت في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة:٢٤٣]، قال الآلوسي: «ومناسبة هذه لما قبلها أنه سبحانه لما ذكر جملا من الأحكام التكليفية مشتملة على ذكر شيء من أحكام الموتى عقب ذلك بهذه القصة العجيبة تنبيها على

---

(١) هذا التعريف للدكتور: عبد الرحمن حبنكة الميداني في كتابه «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجل» ص ١٠.

عظيم قدرته وأنه القادر على الإحياء والبعث للمجازاة واستنهاضا للعزائم على العمل للمعاد والوفاء بالحقوق والصبر على المشاق»[(١)].

٢- بيان العبرة والعظة من القصة القرآنية في نصرة عباد الله المؤمنين، وهلاك الكافرين المعاندين، يبين لنا ذلك من خلال قصة النمرود مع إبراهيم عليه السلام، والتي وردت في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة:٢٥٨]، يقول حاكيا لمعنى الآية: «أو لم ينته علمك إلى قصة هذا الكافر الذي لست بوليّ له كيف تصدى لمحاجة من تكفلت بنصرته وأخبرت بأني ولي له ولمن كان من شيعته فقد تحققت رؤية هذه القصة العجيبة وتقررت بناءً على أن الأمر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد ممن له حظ من الخطاب فلتكن في الغاية القصوى من تحقق ما ذكرته لك من ولايتي للمؤمنين وعدمها للكافرين ولتطب نفسك أيها الحبيب وأبشر بالنصر فقد نصرت الخليل، وأين مقام الخليل من الحبيب، وخذلت رأس الطاغين فكيف بالأذناب»[(٢)].

(١) ١/٥٥٤.

(٢) ٢/١٦.

ثانياً: الأمثال في القرآن:

المتتبع لتناوله للأمثال يجد أنه يركز على بيان الحكمة من ضرب الأمثال في القرآن، وهو يفسر الآيات التي وردت فيها الأمثال وفق ما تدلل عليه من عبر وعظات، وسنرى ذلك من خلال نموذجين من تفسيره لآيات الأمثال:

١- عند قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة:١٧]، قال: «فلِضرب المثل شأن لا يخفى ونور لا يطفى يرفع الأستار عن وجوه الحقائق ويميط اللثام عن محيا الدقائق ويبرز المتخيل في معرض اليقين ويجعل الغائب كأنه شاهد، وربما تكون المعاني التي يراد تفهيمها معقولة صرفة، فالوهم ينازع العقل في إدراكها حتى يحجبها عن اللحوق بما في العقل فبضرب الأمثال تبرز في معرض المحسوس فيساعد الوهم العقل في إدراكها، وهناك تنجلي غياهب الأوهام ويرتفع شغب الخصام ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١]»[1].

٢- عند قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم:٤٥]، يقول: «﴿ٱلْأَمْثَالَ﴾ أي: صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الأمور التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة لتعتبروا وتقيسوا أعمالكم على أعمالهم وما لكم على ما لهم وتنتقلوا من حلول

(١) ١/١٦٥.

العذاب العاجل إلى العذاب الآجل فتردعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي»[١].

ثالثاً: المناسبات:

التأمل في ترتيب السور والآيات، وإعمال الفكر في إيجاد رابط صحيح يربط بين السور أو الآيات هو ضربٌ من التدَّبر، ويعتبر الشيخ الألوسي من المكثرين في الحديث عن المناسبات في القرآن الكريم فكثيرا ما يتحدث عن المناسبة بين سورتين متتاليتين، أو المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، ويذكر ذلك صراحة بلفظ المناسبة، وإليك بعض النماذج في ذلك:

١- قوله بالمناسبة بين سورتين متتاليتين:- ومثال ذلك ما ذكره في مطلع تفسيره لسورة البقرة حيث قال: «ووجه مناسبتها لسورة الفاتحة أن الفاتحة مشتملة على بيان الربوبية أولا والعبودية ثانيا وطلب الهداية في المقاصد الدينية والمطالب اليقينية ثالثا، وكذا سورة البقرة مشتملة على بيان معرفة الرب أولا كما في ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] وأمثاله وعلى العبادات وما يتعلق بها ثانيا وعلى طلب ما يحتاج إليه في العاجل والآجل آخرا وأيضا في آخر الفاتحة طلب الهداية وفي أول البقرة إيماء إلى ذلك بقوله ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢]» [٢].

---

(١) ٧/٢٣٥.

(٢) ١/١٠١.

٢- ذكره المناسبة بين آيتين متتاليتين، ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة:٢٢٠]، قال: «ووجه مناسبتها لما قبلها أنه سبحانه لما ذكر السؤال عن الخمر والميسر وكان في تركها مراعاة لتنمية المال ناسب ذلك النظر في حال اليتيم فالجامع بين الآيتين أن في ترك الخمر والميسر إصلاح أحوالهم أنفسهم، وفي النظر في أحوال اليتامى إصلاحا لغيرهم ممن هو عاجز أن يصلح نفسه فمن ترك ذلك وفعل هذا فقد جمع بين النفع لنفسه ولغيره»[١].

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) ١/٥١١.